فبقى أميناً على عهده للفاطميين . ولكن مركزه تضعضع ، فالتجأ إلى مسور . وأقام مع أتباعه فى الأماكن الحصينة النائية يدافع عن نفسه دون أن يستطيع التقدم خطوة واحدة ، متخذاً التستر والتقية وكتمان السر طريقة له فى نشر دعوته . حتى وافته المنية سنة ٣٠٦ هـ .

خلفاء منصور وابن الفضل

من الجلى الواضح أن ثورة ابن الفضل على الدعوة الإسماعيلية ، كانت من أهم العوامل التى أدت إلى إضعافها . وشل نشاطها وتقدمها ، وذلك لأن أعداء الدعوة والمتربصين بها اتخذوا من الحرب الداخلية فرصة لشن الهجوم على أنصارها كافة ؛ وعندما ظفروا بهم أعملوا فيهم القتل والنهب والتهجير ، وزادت الأمور تعقيداً بعد وفاة منصور اليمن ، فقد برز إلى المجال الاختلاف الذى وقع بين أبنائه وبعض الدعاة على المنصب . ومن المعلوم أن المنصور قبل وفاته رشح « عبد الله الشاورى » للقيام بشئون الدعوة بعد وفاته ، وذلك بكتاب أرسله إلى الإمام « عبيد الله المهدى » فى المغرب ، فى حين أن ولده « حسن » كان يعتقد أن هذا الأمر بعد وفاة والده صائر تلقائياً إليه ،

فطلب من الإمام المهدى تعيينه مكان أبيه . ولكن الإمام عبيد الله أمّر عليها الشاورى الذى تتلمذ وتمرن على يد منصور، وعمل معه فى حياته . ثم أرسل إلى مصر . ولاقى فيها نجاحاً كبيراً .

وقد كان هذا الاختيار حافزاً للحسن بن منصور فأقدم على قتله ثم أعلن خروجه على الدعوة أيضاً . ثم جرّد جيشاً وأعمل قتلا وتهديماً بالبناء . الذى شاده والده . وهذا العمل شجع أعداء الدعوة مرة ثانية فجاءوا إليه وقتلوه . كما أنه لم يسلم من أسرته إلا من استطاع الفرار أو الاستتار أو النجاء؛ أما ولده الثانى جعفر بن منصور فقد ذهب إلى القيروان . واستقر فيها تحت لواء الإمام القائم سنة ٣٢٢ هـ . وقد وصل إلى درجة عالية فى مراتب الدعوة . وحاز مكانة وصفت بأنها على جانب كبير من الأهمية . وخاصة فى عهد الإمام المعز سنة ٣٤١ — ٣٦٥ هـ .

هذا .. ومن الثابت أن الرياسة بعد وفاة منصور قد انتقلت إلى غير بيته . فتعاقب على شئون الدعوة الإسماعيلية تسعة دعاة . وهى الفترة التى وقعت ما بين عهد منصور اليمن وظهور الصليحيين وتعد هذه الفترة من أكثر الفترات غموضاً فى تاريخ اليمن .

والآن نورد أسماء الدعاة الإسماعيليين الذين تعاقبوا على شئون الدعوة الإسماعيلية فى اليمن بعد منصور حتى ظهور الدولة الصليحية الأولى أى من سنة ٣٠٣ هـ إلى سنة ٤٣٩ هـ . وكل هذا له علاقة مباشرة بموضوعنا .

١ — عبد الله بن عباس الشاورى :

كان تلميذاً لمنصور اليمن . قدم على الإمام الفاطمى عبيد الله فى القيروان قتل غيلة بيد الحسن بن منصور اليمن سنة ٣٣٦ هـ ، وذلك فى عهد الإمام المنصور الفاطمى . عمل مدة فى مصر ، ونشر فيها مبادئ الدعوة الإسماعيلية بنجاح .

٢ — يوسف بن موسى بن أبى طفيل :

تولى رئاسة الدعوة الإسماعيلية باليمن فى عهد الخليفة الفاطمى الإمام المعز لدين الله . قتله إبراهيم بن عبد الحميد السباعى

٣ — جعفر بن أحمد بن عباس :

يعتقد أنه ابن أخى عبد الله بن عباس الشاورى الذى مر ذكره .

٤ — عبد الله بن محمد بن بشر :

كان داعياً للإمام العزيز بالله بن المعز لدين الله الفاطمى . وهو من وادى قطابة من قدم .

٥ — محمد بن أحمد بن العباس :

هو من شاور . ويقال إنه أخو جعفر بن أحمد بن العباس الشاورى . ولعله كان قائماً بالدعوة فى عهد الإمام الفاطمى العزيز بالله أيضاً .

٦ — هرون بن محمد بن رحيم :

كان داعياً فى اليمن فى عهد الإمام الفاطمى الحاكم بأمر الله . وقد أرسل إليه سجلا سنة ٣٩١ هـ . وربما كان قد أدرك عهود الأئمة الثلاثة : المعز والعزيز والحاكم .

٧ — يوسف بن أحمد بن الأشبح :

هو من أهل شبام حمير .. كان من دعاة الحاكم بأمر الله . والمسئول عن اليمن بعد هرون .

٨ — سليمان بن عبد الله بن عامر الزواحى :

هو من ضلع شبام من حمير . كان المسئول عن الدعوة فى اليمن فى عهد الإمامين الحاكم والظاهر ؛ وقيل إنه أدرك الإمام المستنصر بالله . وكان يقيم فى حصن كوكبان .

ومهما يكن من أمر فإن هؤلاء الدعاة قاموا بأعمالهم فى سبيل نشر المبادئ الإسماعيلية فى القطر اليمنى فى عهد يطلق عليه المؤرخون اسم عهد المحنة والشدة . يدلنا على ذلك فقدان المصادر والأخبار التى لا تشفى غليلا . ولا تروى غليلا .

ولكن لابد من القول إن هؤلاء المجاهدين استطاعوا أن يحافظوا على أسس الدعوة الإسماعيلية وتراثها العلمى ، برغم الصعوبات التى حاقت بهم ، وقد ساعد على بقائهم طبيعة بلاد اليمن الجبلية الوعرة ، حيث كانوا يتخذون من الحصون المنيعة النائية ، ومن الجبال العالية ، وسيلة للتستر والابتعاد عن الأعداء ومكامن الخطر .

والخلاصة : أن كل هذه الأحداث كانت تتمخض عن ظهور شخصية قوية تجمع شمل الإسماعيليين فى اليمن تحت لواء واحد ، وتربطهم برباط متين ، فى ظل دولة موحدة قوية تقوم على دعائم متينة من العلم والفلسفة والعقل والتنظيم ، وهذه الشخصية هى : « على بن محمد الصليحى » ، رأس أسرة الصليحيين الإسماعيليين الذين كتبوا فى تاريخ اليمن السعيد أنصع الصفحات ، واستطاعوا أن يكوّنوا من الضعف قوة ، فيحكموا اليمن حكماً أنموذجيًّا جديداً ، يقوم على أسس من العدالة والحرية والمساواة .